الفتاة وأعواد الكبريت



الفتاة وأعواد الكبريت

كَانَ ٱلْبَرْدُ قَارِساً فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي تَنْتَهِي بِهَا ٱلسَّنَةُ. وَفِي ٱلْقِسْمِ ٱلْأَوَّلِ مِنْهَا أَخَذَ ٱلثَّلْجُ يَتَسَاقَطُ بِرِقَاعِهِ ٱلنَّاصِعَةِ ٱلْبَيَاضِ تَنْتَثِرُ خِفَافاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْقَاتِمَةِ فَتَزِيدُ فِي بَهْجَةِ ٱلْأَهَالِي ٱلْمُسْرِعِينَ إِلَى بُيُوتِهِمْ حَامِلِينَ إِلَى ذَوِيهِمْ هَدَايَا ٱلْعِيدِ فِي رَأْسِ ٱلسَّنَةِ. فَكَمْ مِنْ عُلْبَةٍ وَكَمْ مِنْ رِزْمَةٍ فِيهَا مَا طَابَ وَلَذَّ مِنَ ٱلْأَطْعِمَةِ وَٱلثِّمَارِ ٱلشَّهِيَّةِ.

وَكَانَ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ ٱلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالِ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ لَا تُسْرِعُ فِي سَيْرِهَا بَلْ تَمْشِي بِبُطْءٍ عَلَى بِسَاطِ ٱلثَّلْجِ وَقَدِ ٱرْتَدَتْ ثَوْباً بَالِياً فِيهِ رُقَعٌ كَثِيرَةٌ. رَأْسُهَا مَكْشُوفٌ وَرِجْلَاهَا ٱلصَّغِيرَتَانِ عَارِيَتَانِ قَدْ وَرِمَتَا وَٱحْمَرَّتَا مِنْ شِدَّةِ ٱلْبَرْدِ.



عِنْدَمَا تَرَكَتِ ٱلْبَيْتَ كَانَ فِي رِجْلَيْهَا خُفَّانِ بَالِيَانِ كَانَا لِأُمِّهَا وَكَانَا كَبِيرَيْنِ جِدًّا عَلَى رِجْلَيْهَا ٱلصَّغِيرَتَيْنِ لٰكِنْ مَا ٱلْعَمَلُ ؟ أَلَيْسَ مِنَ ٱلْأَفْضَلِ لَهَا أَنْ تَلْبَسَهُمَا مِنْ أَنْ تَمْشِيَ عَارِيَةَ ٱلْقَدَمَيْنِ ؟



فَلَبِسَتْهُمَا لٰكِنَّهَا عِنْدَمَا صَارَتْ فِي ٱلطَّرِيقِ غَرِقَ أَحَدُهُمَا فِي ٱلثَّلْجِ وَٱنْفَلَتَ مِنْ رِجْلِهَا وَغَطَّاهُ ٱلثَّلْجُ فَفَقَدَتْهُ ، أَمَّا ٱلْخُفُّ ٱلْآخَرُ فَقَدِ ٱنْتَزَعَهُ مِنْهَا صَبِيٌّ شَقِيٌّ وَهَرَبَ بِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ مِنْهَا .



وَهٰكَذَا أَصْبَحَتِ ٱلْفَتَاةُ ٱلصَّغِيرَةُ بِغَيْرِ خُف
تَمْشِي فِي ٱلثَّلْجِ وَهِيَ تَرْتَعِدُ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَتَتَوَجَّع
بنَ ٱلْجُوعِ.

تَنْظُرُ إِلَى ٱلْمَارَّةِ وَتَعْرِضُ عَلَيْهِمْ بِيَدِهَا ٱلنَّحِيلَةِ
عُلْبَةً مِنْ عُلَبِ عِيدَانِ ٱلْكِبْرِيتِ ٱلَّتِي كَانَتْ
تَمْلَأ وَزْرَتَهَا.

لٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ٱلْمُتَأَهِّبِينَ لِلَّهْـــوِ وَٱلسَّمَر
وَٱلْمَدَبِ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ مَا كَانُوا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا
وَلَا يَأْبَهُونَ لِعِيدَانِهَا.

وَكَانَ وَجْهُهَا يَزِيــدُ شُحُوبًا وَفَرَائِصُهَا
ٱرْتِعَادًا وَرِجْلَاهَا أَلَمًا كُلَّمَا ٱمْتَدَّ ٱللَّيْلُ.

وَفِي بَعْضِ ٱلطَّرِيقِ شَعَرَتْ فَجْأَةً بِأَنَّ قِوَاهَا قَدْ خَارَتْ وَأَنَّ قَدَمَيْهَا لَا تَحْمِلَانِهَا فَجَلَسَتْ عَلَى ٱلْحَضِيضِ عِنْدَ زَاوِيَةٍ بَيْنَ بَيْتَيْنِ لِتَكُونَ فِي مَلْجَإٍ مِنَ ٱلرِّيحِ ٱلْقَارِسَةِ وَجَمَعَتْ رِجْلَيْهَا تَحْتَ جِسْمِهَا عَلَّهُمَا يَدْفَآنِ قَلِيلًا .

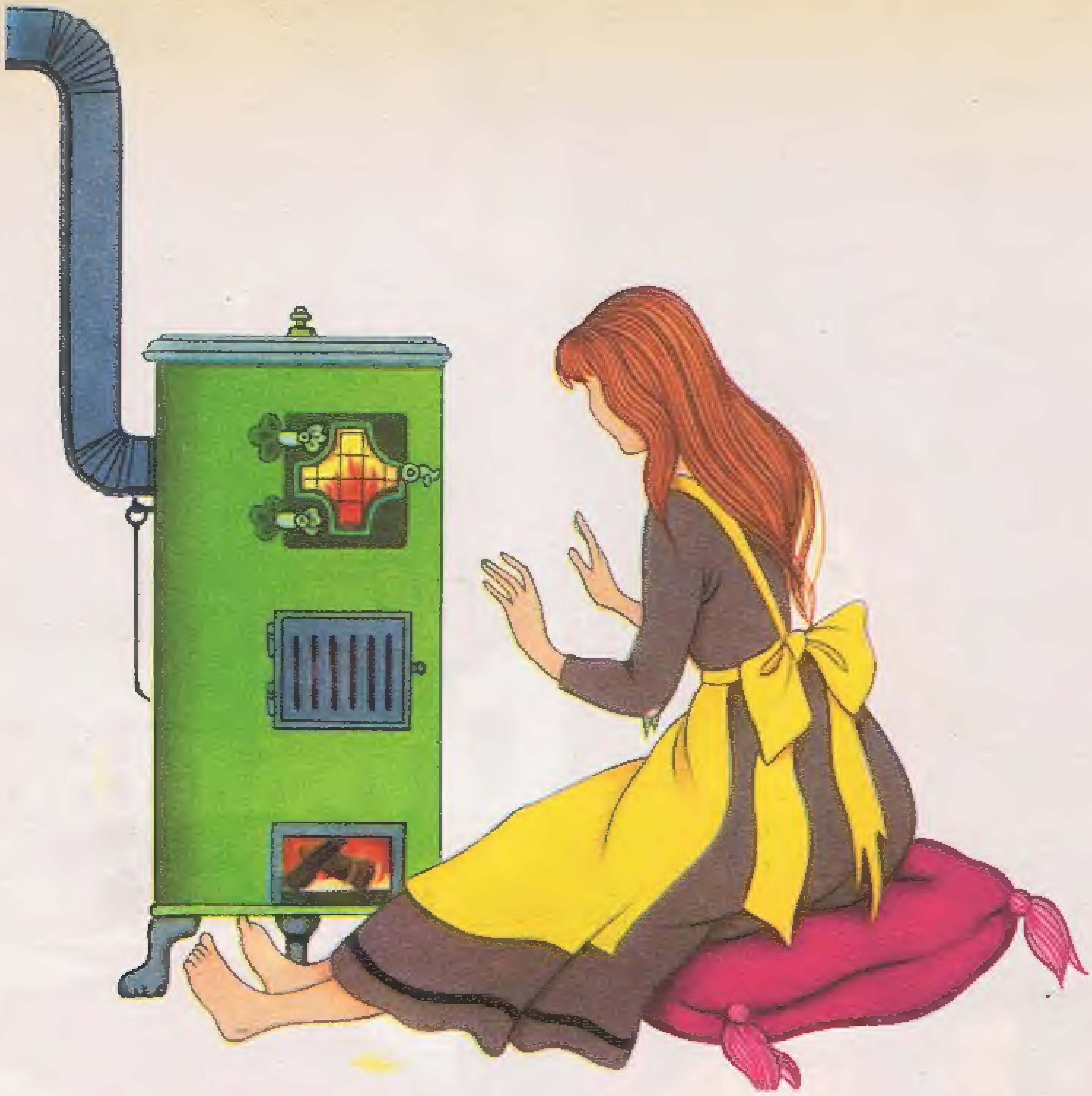
كَانَتْ تَخْشَى ٱلْعَوْدَةَ إِلَى ٱلْبَيْتِ لِأَنَّهَا قَضَتِ ٱلنَّهَارَ وَلَمْ تَبِعْ عُلْبَةً وَاحِدَةً مِنْ عُلَبِ ٱلْكِبْرِيتِ فَهِيَ لَا تَجْرُؤُ عَلَى مُقَابَلَةِ أَبِيهَا بِدُونِ فَلْسٍ فِي يَدِهَا فَإِنَّهُ وَلَا شَكَّ سَيَصِيحُ بِهَا وَقَدْ يَضْرِبُهَا كَمَا هُوَ شَأْنُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَرْجِعُ إِلَى ٱلْبَيْتِ بِدُونِ فُلُوسٍ .

ثُمَّ مَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْبَيْتِ وَٱلطَّرِيقِ ؟ إِنَّ ٱلْبَيْتَ ٱلَّذِي تَسْكُنُهُ مَعَ وَالِدَيْهَا هُوَ كُوخٌ حَقِيرٌ مُفَكَّكُ ٱلْأَخْشَابِ مُخَلَّعُ ٱلنَّوَافِذِ تَدْخُلُهُ ٱلرِّيحُ كَيْفَ شَاءَتْ بِٱلرُّغْمِ مِنْ سَدِّ خَلَالِهِ بِٱلْخِرَقِ وَأَوْرَاقِ ٱلْجَرَائِدِ .

٭ ٭ ٭

هِيَ ٱلْآنَ وَحِيدَةٌ فِي ٱللَّيْلِ وَأَسْوَاقُ ٱلْمَدِينَةِ مُقْفِرَةٌ وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَرْثِي لِحَالِهَا. صَقَعَ وَجْهُهَا وَجَمَدَتْ يَدَاهَا ٱلصَّغِيرَتَانِ فَتَكَادُ لَا تَقْوَى عَلَى تَحْرِيكِهِمَا. لَيْسَ لَهَا نَارٌ تَصْطَلِي بِهَا. وَأَنَّى لَهَا ذَلِكَ وَمَا لَدَيْهَا سِوَى أَعْوَادِ ٱلْكِبْرِيتِ إِنْ أَشْعَلَتْ بَعْضَهَا تَعَرَّضَتْ لِغَضَبِ أَبِيهَا وَعِقَابِهِ .





لَكِنَّ ٱلثَّلْجَ ظَلَّ يَتَسَاقَطُ حَتَّى غَطَّى شَعْرَهَا ٱلطَّوِيلَ ٱلذَّهَبِيَّ فَفَكَّرَتْ فِي إِشْعَالِ عُودٍ تُدْفِئُ بِهِ يَدَهَا وَتَرَدَّدَتْ كَثِيرًا ثُمَّ أَخَذَتْ مِنْ عُلْبَةٍ عُودًا وَأَشْعَلَتْهُ فَشَعَّ نُورُهُ وَمَلَأَ مَا حَوْلَهَا فَإِذَا هِيَ بِٱلْقُرْبِ مِنْ مَوْقِدٍ تَنْبَعِثُ مِنْهُ حَرَارَةٌ لَطِيفَةٌ. فَٱبْتَهَجَتْ وَعَادَتْ إِلَيْهَا رُوحُهَا وَهَمَّتْ أَنْ تُدْنِيَ مِنَ ٱلْمَوْقِدِ يَدَيْهَا ٱلْمُضْطَرِبَتَيْنِ لَكِنَّ عُودَ ٱلْكِبْرِيتِ كَانَ قَدِ ٱنْطَفَأَ وَٱخْتَفَى ٱلْمَوْقِدُ وَسَادَ ٱلظَّلَامُ وَعَادَتِ ٱلِابْنَةُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ مُعَانَاةِ ٱلْبَرْدِ.

وَعِنْدَئِذٍ أَشْعَلَتْ عُودًا آخَرَ فَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ ٱلْجِدَارَ ٱلَّذِي كَانَتْ مُسْتَنِدَةً إِلَيْهِ قَدْ أَصْبَحَ شَفَّافًا وَأَنَّهَا تَرَى مِنْ خِلَالِهِ غُرْفَةً مُضَاءَةً فِي وَسْطِهَا مَائِدَةٌ عَلَيْهَا مَا تَشْتَهِي ٱلنَّفْسُ مِنَ ٱلْمَأْكَلِ وَٱلْمَشْرَبِ.



وَكَانَ عَلَى ٱلْمَائِدَةِ طَبَقٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ فِيهِ وَزَّةٌ مُحَمَّرَةٌ يَتَصَاعَدُ مِنْهَا لَهِيبٌ وَرَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ وَبَدَا لَهَا أَنَّ ٱلْوَزَّةَ تَثِبُ مِنَ ٱلطَّبَقِ وَتَتَّجِهُ نَحْوَهَا.



لٰكِنَّ ٱلْعُودَ ٱنْطَفَأَ فِي تِلْكَ ٱلْهُنَيْهَةِ وَٱخْتَفَى كُلُّ شَيْءٍ وَزَادَ جُوعُ ٱلْفَتَاةِ ٱلصَّغِيرَةِ وَكَثُرَ ٱرْتِعَاشُهَا مِنَ ٱلْبَرْدِ.

وَأَشْعَلَتْ عُودًا ثَالِثًا فَرَأَتْ عَلَى نُورِهِ شَجَرَةَ مِيلَادٍ عَجِيبَةً أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَشْجَارِ ٱلَّتِي رَأَتْهَا فِي وَاجِهَاتِ ٱلْمَخَازِنِ. وَعَلَى ٱلشَّجَرَةِ مِنَ ٱللُّعَبِ وَٱلشُّمُوعِ وَٱلْفَوَانِيسِ عَدَدٌ لَا يُحْصَى. وَكَانَتِ ٱللُّعَبُ ٱلْجَمِيلَةُ ٱلْمُعَلَّقَةُ فِي أَغْصَانِهَا تَنْظُرُ جَمِيعُهَا إِلَيْهَا كَأَنَّهَا تَدْعُوهَا لِلِاقْتِرَابِ مِنْهَا.

وَبَيْنَمَا كَانَتِ ٱلْفَتَاةُ تَنْظُرُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْعَجِيبَةِ ٱلْغَرِيبَةِ بِمِلْءِ عَيْنَيْهَا وَتَشْتَهِيهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِهَا ٱنْطَفَأَ ٱلْعُودُ وَٱخْتَفَتِ ٱلشَّجَرَةُ.



غَيْرَ أَنَّ ٱلشُّمُوعَ ٱلَّتِي كَانَتْ فِي ٱلشَّجَرَةِ لَمْ تَخْتَفِ بَلْ أَخَذَتْ تَتَصَاعَدُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَتَأَكَّدَتِ ٱلْفَتَاةُ مِنْ أَنَّ تِلْكَ ٱلشُّمُوعَ كَانَتْ نُجُوماً.

وَفِي تِلْكَ ٱلْآوِنَةِ سَقَطَتْ نَجْمَةٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَتَرَكَتْ وَرَاءَهَا خَطّاً مِنَ ٱلنُّورِ فَذَكَرَتِ ٱلْفَتَاةُ جَدَّتَهَا ٱلَّتِي أَحَبَّتْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِهَا وَٱلَّتِي مَاتَتْ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ.

وَذَكَرَتْ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ لَهَا: كُلَّمَا سَقَطَتْ نَجْمَةٌ مَاتَ أَحَدُ ٱلنَّاسِ وَصَعِدَتْ نَفْسُهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ. فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنَّ أَحَدَ ٱلنَّاسِ يَمُوتُ ٱلْآنَ.



وَأَشْعَلَتْ عُودًا. وَفِي ٱلْحَـالِ غَمَرَهَا نُورٌ لَمْ تَرَ قَطُّ مِثْلَهُ وَظَهَرَتْ لَهَا فِي وَسْطِ هٰذَا ٱلنُّورِ جَدَّتُهَا تَبْتَسِمُ لَهَـا وَهِيَ عَلَى غَايَةٍ مِنَ ٱلْجَمَالِ وَٱلْجَلَالِ.

فَمَدَّتْ إِلَيْهَا ٱلْفَتَاةُ ٱلْمِسْكِينَةُ ذِرَاعَيْهَا وَصَاحَتْ:

- جَدَّتِي، جَدَّتِي، خُذِينِي إِلَيْكِ. لَا تَخْتَفِي أَنْتِ كَمَا ٱخْتَفَتِ ٱلْأَشْيَاءُ ٱلْحُلْوَةُ ٱلَّتِي رَأَيْتُهَا بَلْ خُذِينِي خُذِينِي مَعَكِ.

وَخَوْفَ أَنْ تَخْتَفِيَ ٱلْجَدَّةُ أَخَذَتْ عُلْبَـةَ ٱلْكِبْرِيتِ وَأَشْعَلَتْهَـا جَمِيعَهَا. وَعِنْدَئِذٍ ٱنْتَشَرَ نُورٌ عَجِيبٌ وَبَدَتِ ٱلْجَدَّةُ فِي جَمَالٍ رَائِعٍ.



وَٱنْحَنَتِ ٱلْجَدَّةُ بِرِفْقٍ عَلَى ٱلْفَتَاةِ وَضَمَّتْهَا إِلَى صَدْرِهَا وَطَارَتْ بِهَا إِلَى ٱلنُّجُومِ، إِلَى ٱلسَّمَاءِ حَيْثُ لَا بَرْدٌ وَلَا جُوعٌ.

* * *

وَفِي غَدِ تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ وَجَدُوا جُثَّةَ ٱلْفَتَاةِ هَامِدَةً وَمَدْفُونَةً فِي ٱلثَّلْجِ فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهَا وَمَا عَرَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا رَأَتْ تِلْكَ ٱلْفَتَاةُ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْجَمِيلَةِ وَمَا هِيَ عَلَيْهِ ٱلْآنَ مِنَ ٱلسَّعَادَةِ وَٱلْغِبْطَةِ فِي جِوَارِ ٱللهِ.



من

منشورات المكتبة البولسيّة



مجموعة قوس الغمام

مجموعة من ٢٤ أقصوصة مصوّرة، اقتبسها عن أشهر القصصيّين العالميّين الكاتب المبدع يوسف غصوب، وأضفى عليها من ذوقه الرفيع وصفاء كتابته ما أكسب عبارتها السهولة والدقة. أضف إلى ذلك إخراجها الطباعي الأنيق بالألوان الطبيعيّة. إنها تحفة فنية وأدبية رائعة تحبّب للأولاد العلم والفضيلة والمعرفة والجمال.

من روضة الأطفال
حتى السنة ٢ً الأبتدائية

٢٤

منشورات المكتبة البولسيّة
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢